الرسالة السادسة

عن العلاقة بين المعلم والمتعلم

سوف أركز الآن على بحث العلاقة بين المعلم والمتعلم ، تلك العلاقة التى تتضمن أسئلة حول عمليات التعليم والتعلم ، والطريقة التى تحدث بها عملية التعليم ما تنتجه من تعلم ، وما يرتبط بها من ممارسة السلطة والحرية وعمليات القراءة والكتابة . هذا إلى جانب فضائل المعلم ، والهوية الثقافية للمتعلم والاحترام الذى يجب أن يعطى لها ، إذ إننى أعتبر تلك الأمور دليلاً على تقدير الخطاب المتسق والدائم للمعلم التقدمى المتطور . وسوف أحاول أن أفكر فى حجة لبيان أفضل طريقة لجذب انتباه المتعلم لسلامة الوصول إلى كل ما هو قائم لحل الصراع الذى يتطلبه التغلب على تلك العقبات .

إن الممارسة التعليمية التى لا تتضمن علاقة متسقة بين ما يقوله المعلمون وما يفعلونه تمثل نوعاً من الكارثة . ومن ثم نتساءل ماذا يمكن أن نتوقعه من معلم يعترض على القيود الإدارية التى تفرضها الإدارة للحد من حريته ، وفى الوقت نفسه ، يقوم هو بطرق غير أمينة مع ذاته بالحد من حريات المتعلمين . ولحسن الحظ ليس هناك من تفسير ميكانيكى على المستوى الإنسانى ليوضح أية قضية .

وفى هذا الصدد نجد أن طلاب هذا المعلم سوف يعيشون فى حالة تمرد مستمرة ، بيد أنه من الأفضل لهؤلاء المتعلمين – إذا ما أتيح لهم – ألا يتعرضوا للمفارقة بين ما يقال لهم وما يشاهدونه فى الواقع .

والحاصل أن ما يتم تحقيقه بالفعل يظل العامل الأقوى والأبقى أثراً ، لما له من تأثير مباشر . إن أسوأ شىء فى تدريب المتعلم هو مواجهة التناقض بين الأقوال والأفعال، ومن ثم يميل المتعلم بعد ذلك إلى عدم تصديق ما يقوله المعلم . وينجم عن

ذلك أنه فى هذه الحالة عندما يسمع المتعلم رأياً من معلمه ، فإنه يبدأ فى انتظار سلوكه التالى ليكتشف ما بينهما من تناقض . وهذا النحو يدمر صورة المعلم التى يكونها عن نفسه ، والتى يحاول أن يبرزها أمام طلابه.

إن الأطفال لديهم حساسية شديدة للمدرسين الذين يفعلون عكس ما يقولون ، ويغدو التوجيه القائل " افعل ما أقوله وليس ما أفعله " محاولة فاشلة لإصلاح التناقض وعدم الاتساق ؛ لأن التناقض بين ما يقال وما يتم بالفعل لا يمكن إخفاؤه دائماً . إن ما يقال أحياناً يكون له القوة التى تدافع عن نفسها ضد الشخص الذى يقول عكس ما يفعل ، ولما كانت تلك المقولة تعد تحديداً رأياً لا يعاش فى الواقع ، ومن ثم تفقد كثيراً من قوتها التأثيرية .

إن هذا الذى يرى التناقض الجارى ، يعبر عن نفسه قائلاً : " إذا كان ما يعلن – ولكن يتم إنكاره تماماً عند الممارسة الفعلية – يعتبر شيئاً جيداً ، فعليه إذًا أن يقرَّ بأنه ينبغى أن يتبع الفعل الإعلان والقول . ولذلك فإن أخطر المساوئ فى هذه العملية ما ينجم عنها من انهيار الرابطة بين المتعلم والمعلم .

ثم ماذا يمكن أن يقال عن المعلمين الذين لا يمارسون أى نوع من السلطة داخل الفصل ويظهرون عادة ضعفاً ، وعدم ثقة وافتقاد للطمأنينة فى علاقتهم مع المتعلمين ؟

إننى أتذكر نفسى عندما كنت مراهقاً ، وكيف كان يؤلمنى أن أجد عدم الاحترام لأحد مدرسينا حيث عرَّض نفسه ليكون مصدراً للإساءة إليه لدى معظم الطلاب ، بسبب عدم امتلاكه لأى طريقة تمكنه من فرض النظام فى الفصل . لقد كان مجيئه فى الحصة الثانية من اليوم الدراسى ، وهو فى حالة من الضعف حيث يقابله الشباب فى الفصل بسخرية مريرة فيعاقبونه ويسيئون إليه. وعند الانتهاء من هذه السخرية التى سادت الفصل ، لم يستطع أن يدير له ظهره، وإنما اتجه نحو باب الخروج تشيعه عاصفة من السخرية ، وهذا بالتأكيد قد أثار المخاوف الشديدة لديه . ومن ركن من أركان

الحجرة حيث كنت جالساً رايته شاحباً شاعراً بالاحتقار الثقيل المجمد لطاقاته ، ومرتعشاً فى اتجاهه نحو الباب الذى يفتحه مسرعاً ليختفى ملتفاً بضعفه وهوانه .

كذلك أتذكر من أيام مراهقتى صورة هذا المدرس الضعيف الشاحب ، الذى كان يحمل خوفه بين جنباته من أولئك الأطفال الذين جعلوا من سخريتهم مبرراً لخوفه منهم مرتبطاً بخوفه من أن يفقد وظيفته .

ومن خلال رؤيتى للدمار الذى قد حدث لسلطة ذلك المعلم – وأنا الذى كنت أحلم أن أكون معلماً – فقد وعدت نفسى ألا أسمح بأن أكون موضوعاً لمثل هذا التجاهل لكيانى ، أو أن أكون من الناحية الأخرى خاضعاً مذعناً لذلك المعلم الذى يتمتع بسلطة دكتاتورية غاشمة ، والذى يعتقد دائماً أنه صاحب الكلمة الأخيرة . كذلك لن أكون ضمن أولئك المجردين من كل قوة ، كما هو الحال فى ذلك المعلم الضعيف الذى سبقت الإشارة إليه .

وثمة نوع آخر من التعاقد الذى لا يجب أن يفتقد فى العلاقة بين المعلم والطالب ، وذلكم هو التزامنا المستمر بالعدل ، وبالحرية ، وبالحقوق الفردية ، وبالدفاع عن الأضعف عندما يكون ضحية لاستغلال الأقوى . ومن المهم أيضاً فى هذه المهمة التى نقوم بها يومياً أن نوضح للطلاب أن هناك جمالاً فى النضال الأخلاقى ، فالأخلاقيات والجماليات مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً . بيد أنه يمكن أن نقول إن بعض المناطق ذات الفقر المدقع والاحتياج الشديد لا يمكن خلالها تحقيق مثل هذه المعانى .

هناك تجربة لمُدرِّسة اسمها (مادلينا فريرى ويفورت) ، عاشت بنفسها ثلاث سنوات فى أحد الأحياء الفقيرة فى مدينة سان باولو ؛ حيث أصبحت مدرسة ومربية (وبما لديها من حس سياسى لمهمة التدريس) تمكنت من الحصول على تلك الخبرات التى يتيحها هذا المحيط أكثر من أى موقع آخر ، وكانت تعد كتاباً عن خبراتها فى سياق ينقص فيه فهمنا ومعرفتنا بالوضع الطبقى ، والذى لا غنى عنه فى مهمتنا التعليمية ،

بينما يزدحم تصورنا بكثير من العناصر التى تزدريها معرفتنا بهذه الطبقة . وفى هذا السياق من ذكرياتها تحلل وتبحث قصة (كارلا الصغيرة) ، التى ذكرتها فى إحدى أوراقى ، والتى قصتها كالآتى :

تتجول (كارلا) وتدور فى شوارع الحى شبه عارية ، ووجها القذر يخفى جمالها، وهى موضوع سخرية من بقية الأطفال والكبار أيضاً . وظلت تتجول وكأنها روح ضائعة ، والأمَرَّ من هذا أنها فقدت ذاتها ، وغدت كما لو أنها لا تنتمى إلى كونها بنتاً صغيرة .

وفى يوم ما تخبرنا المدرسة (مادلينا) بأنها طلبت من جدة الطفلة الصغيرة أن تسمح لحفيدتها (كارلا) بالالتحاق بالمدرسة مع علمها بأن الجدة لا تستطيع توفير الرسوم الرمزية التى تتطلبها إدارة المدرسة . وبعد تردد من الجدة تأتى استجابة (مادلينا) بأنه سوف لا يكون هناك مشكلة فى دفع الرسوم . بيد أنى أطلب منك قبل الموافقة على قبول (كارلا) الصغيرة بالمدرسة أن تأتى البنت إلى المدرسة نظيفة ومستحمة ، وعليها بعض الملابس ، كما أن عليها أن تأتى إليها هكذا كل يوم وليس غداً فقط . ووافقت الجدة على هذا ووعدت بأنها سوف تفعل ما طلب منها . وفى اليوم الثانى جاءت (كارلا) إلى الفصل مختلفة تماماً ، نظيفة بوجه جميل ، ولم يعد وجهها مغطى بالقذارة ، نظيفاً ، وعلى ثقة من نفسها .

وهكذا بدأت تتميز (كارلا) بالنظافة عند حضورها الفصل ، وأخذت تمتلك ثقة بنفسها ، وقد ترتب على ذلك أن أخذت الجدة لا تقتصر على الاهتمام (بكارلا) ، بل بدأت تهتم بنفسها أيضاً . وهكذا اكتشفت (كارلا) نفسها ، كما أخذت الجدة تعيد اكتشاف نفسها .

وربما يعلق أحد المشاهدين على هذا المشهد بأن تدخل المعلمة يمثل سمة من سمات البرجوازية والصفوة ؛ إذ إنه فى كل الأحوال كيف يمكن لطفل من بيئة عشوائية أن ينتظر منه أن يأتى إلى المدرسة وهو مستحم كل يوم . إن مادلينا فى الحقيقة قد قامت

بواجبها كمعلم تقدمى ، وأن تدخلها جعل من الممكن للطفلة ولجدتها أن يقتحما مساحة طبقية لاسترداد كرامتهم واحترام الآخرين لهما . وغداً سوف يكون من السهل على (كارلا) ، أن تعتز بنفسها كعضو فى الفصل بأكمله باحثة عن مستقبل أفضل لها .

إنه دون مثل هذا التدخل الديمقراطى للمعلم ، لن يكون هناك تعليم تقدمى متطور . ومن ثم فإنه إذا كان من الممكن للمعلم أن يتدخل فى موضوع النظافة الشخصية لتشمل جمال ونظافة الجسم والعالم من حولنا ؛ مما أدى إلى اكتشاف (كارلا) لنفسها وإلى إعادة اكتشاف جدتها لها ، فليس هناك ما يمنع أى معلم أن يتدخل فى مثل تلك الحالة التى أشرت إليها .

وأعتقد أن السؤال الذى يجب أن يواجه المعلمين بطريقة واضحة وأهمية بالغة ، هو أن علاقتنا مع المتعلمين هى إحدى الطرق ، التى يمكن أن نتدخل من خلالها على المدى البعيد والقريب .

وبهذا المعنى إلى جانب معانٍ أخرى ، فإن علاقتنا مع المتعلمين تتطلب أن نحترمهم، وأن نكون بالقدر نفسه مدركين لأحوالهم الواقعية داخل مجتمعاتهم ، وللظروف والأحوال التى تشكل حياتهم .

إن محاولة تعرف حقيقة الأوضاع التى يعيشها طلابنا تمثل إحدى المهمات التى تفرضها الممارسة التعليمية . ودون هذا ، لن نجد السبيل إلى تعرف طريقة تفكيرهم ، وسوف ندرك بصعوبة كبيرة ماذا وكيف يعرفون .

وفى اعتقادى أنه ليست هناك قضايا أو قيم لا يستطيع الفرد التحدث فيها إلى طلابه إلى جانب المجالات التى يلتزم فيها بالصمت . والواقع أنه يمكننا أن نتحدث معهم عن أى شىء ، وأن نقدم لهم شهادة رأينا فى كل شىء . وعلينا أن ندرك مع ذلك أن نستخدمها فى الحديث عن هذا أو ذاك من الموضوعات، كما أن علينا إدراك أن الطريقة التى نشرح بها إنما هى متأثرة بالظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية للسياق

المجتمعى ، الذى نتحدث أو نشرح فيه . ويجب أن نقرر أن هذه الممارسات ، حديثاً وتوضيحاً قد تشكلت من خلال ثقافة الطبقة وحقائق أوضاع أولئك الذين نتحدث إليهم ومعهم .

دعنا هنا نؤكد على أهمية الوضوح والحكمة والتنظيم فى عمل الأشياء واستخدام النظام والضبط فى الدراسة ، والعناية بالجسم وبالصحة . هذا إلى جانب الالتزام بالشرف الذى يؤدى به المعلمون عملهم، ومع الأمل الذى به يكافحون من أجل حقوقهم، وفى المثابرة التى يتسم بها كفاحهم ضد الأحكام التعسفية التى يعانون منها .. كذلك عليهم كثير مما ينبغى أن يؤدوه ويعلموه للطالبات والطلاب غير المناهج الدراسية. وبصرف النظر عن أى طبقة اجتماعية ينتمون إليها ، عليهم الكثير مما يعلمونه من خلال القدوة فى المكافحة ؛ من أجل التغيرات الأساسية التى نحتاجها ، ومقاومة الاستبداد من أجل الديمقراطية .

لا شىء من هذا يعتبر سهلاً ، ولكن كل هذا يمثل جبهات للكفاح القوى تكون المقدمة للصراع فى إحداث التحولات الرئيسية فى المجتمع البرازيلى .

وينبغى على المعلمين قاطرة التطور أن يقنعوا أنفسهم بأنهم ليسوا مجرد معلمين متخصصين فحسب ؛ إذ إن هذه الحالة لا وجود لها فى الواقع . والحق أننا مناضلون سياسيون لأننا معلمون ، ومهمتنا ليست مقتصرة على تدريس الرياضيات والجغرافيا والقواعد والتاريخ ، فإن وظيفتنا تتضمن أن ندرس هذه المواد بحكمة وكفاءة ؛ لكى تتضمن فى الوقت ذاته تصميمنا على التغلب على مظاهر الظلم الاجتماعى .

ومن المهم أن نكشف القناع عن أيدلوجية خطاب التحديث ، والتى تكمن وراء نوع من الليبرالية الجديدة : وهى تلك الأيديولوجية التى تتحدث عن اللحظات الحالية فى التاريخ . وتحاول إقناعنا بأن الحياة لن تكون إلا كما هى فى الواقع الحالى ، وأن القادرين هم الذين يقومون بتنظيم المجتمع الذى ينتجونه ، كما تزعم بأن الذين هم أقل قدرة ليس لهم إلا مجرد البقاء .

ويقول أنصار تلك الليبرالية إن الحديث عن الأحلام ، واليوتوبيا أو التغيير الجذرى إنما يعوق طريقة العمل الشاق لأولئك المنتجين الحقيقيين . وواجبنا أن نساعدهم لكى يعملوا فى ســـلام دون حدوث مشكلات قد يسببها خطاب الأحلام ؛ إذ إنه فى يوم ما سوف يتبقى كثيرًا ، مما يمكن توزيعه .

إن مثل ذلك الحديث غير المقبول والذى يقاوم الأمل باليوتوبيا والأحلام ، إنما يدافع عن الحفاظ على مجتمع مثل مجتمعنا ، مجتمع يعمل فيه ثلث سكانه كما لو كان من المقبول أن يتحمل ذلك معظم سكانه . وإنى لا أعتقد أن عالم اليوم الجديد سوف يحمل لنا عوامل موت التحزب ، مبشراً بمولد الراديكالية . إن المواقف الفئوية التى تزعم بأن أصحابها هم الذين يعلمون الحق – حقًّا لا يمكن نقضه أو دحضه – إنما هى مواقف يتم اتخاذها باسم الديمقراطية ، ولا يمكن أن تنتمى إلى عالمنا الجديد .

وفى هذا السياق ، فإن الأحزاب التقدمية لا يبقى أمامها خيارات كثيرة . وعليها إما أن تعيد تشكيل نفسها وتركز جهودها على إيقاف المصالح الفئوية ، أو أن تختفى مختنقة بالأيديولوجية الستالينية . ودون ذلك لن تعود مرة أخرى، أو ستظل أحزاباً يسارية هرمة تتسم بمظاهر الشيخوخة ، فاقدة الروح ، مصيرها أن تموت من البرد .. ومما يؤسف له أن هذا الخطر يظل وارداً .

وعود إلى تلك العلاقة بين المعلمين والمتعلمين ، وإلى مصدر قوتهم فى إعداد المتعلمين وإلى أهمية إعلان مواقفهم ، وإلى راديكالية ما يقومون به من عمل وبالأساليب التى يفكرون بها . وفى إعلان مواقفهم ، يمكن بل يجب أن يرى المعلمون ، دون صعوبة ، أثر مواقفهم فى مواجهة العناصر الجديدة فى التغيير ، وسوف تكون مواقفهم المعلنة أكثر فاعلية كلما قاموا بتوضيحها وتجسيدها موضوعياً للمتعلمين .

ومما يستحق التنويه الاعتراف بما يلى :

١ – أن يغير المرء مواقفه مسألة شرعية .

٢ – كذلك إدراك العوامل التى أدت إلى تغييرها .

ولا أعتقد أن على المعلمين أن يكونوا قديسين أتقياء تماماً ، فهم كأناس عاديين لهم فضائلهم وأخطاؤهم ، وأن يعلنوا مواقفهم من أجل التعقل والحرية لخلق النظام الذى لا غنى عنه فى عملية الدراسة . وفيها يشارك المعلمون كمساعدين ، طالما أن مهمة المتعلمين أنفسهم هى توليد روح النظام بداخلهم .

والمتوقع أنه بمجرد إعلان المعلمين عن مواقفهم ، يبدأ المتعلمون أنفسهم فى عمل الشىء نفسه خطوة بخطوة ، وهذه المشاركة الفعالة منهم تعتبر علامة على أن ما فعله المعلمون قد تحقق . بيد أنه من الممكن أحياناً أن يتظاهر بعض المتعلمين بأنه يختبر المعلم ليرى مدى اتساقه فيما يعلن . وقد يؤدى الأمر إلى كارثة لو اتخذ رد فعل المعلمين هنا شكلاً سيئاً مع هذا التحدى . والواقع أن غالبية المتعلمين التى تسعى لاختبار المعلم ، إنما تقوم بذلك بدافع التطلع والتيقن ، آملين ألا يكون المعلم قد خدعهم .. إنهم يريدون أن يؤكدوا للمعلمين ضرورة حرصهم على أداء عملهم بطريقة صحيحة ومخلصة . والحاصل أنه عندما يقوم المتعلمون باختبار المعلم ، فهم لا يريدون أن يشاهدوه وقد خيب ظنهم، بيد أن منهم من يستثير المعلم لكى يشهد إخفاقه فعلاً.

إن إحدى أخطاء المعلمين تتمثل فى إحساسهم بالإهانة عندما يجدوا أنفسهم فى مثل هذا الموقف ، وهو إحساس ناتج عن المغالاة فى تقييم الذات ، والابتعاد عن التواضع ، كما لو أنهم لا يرغبون فى أن يشك أحد فى قدراتهم . وعلى العكس من ذلك ، يجب أن نعترف بكل تواضع أننا جميعاً بشر ، وبالتالى معرضون للخطأ ، ولن نصل إلى درجة الكمال والعظمة .

ومازلت أذكر موقفاً حدث لى بعد عودتى من المنفى مع مجموعة من خريجى جامعة بونتيف الكاثوليكية بسان باولو .. ففى أول أيام المدرسة – وكنت أتحدث معهم عن رأيى فى اجتماعاتنا – ذكرت لهم أننى أتمنى أن يكونوا صرحاء وديمقراطيين وأحراراً . كذلك أكدت أننى أود أن نمارس فى اجتماعاتنا حق الفضول وحب

الاستطلاع ، وحق السؤال وحق الاختلاف ، وحق النقد . وعندئذ سرعان ما قالت لى إحدى الطالبات بحدة وعنف : " أود أن أحضر هذا المقرر باهتمام تام ، وسأحاول ألا أضيع ثانية من درسه ، حتى أرى هل سيتحقق نوع الحوار الذى تتحدث عنه " .

وعندما انتهت من هذه الجملة أخبرتها فى عبارة مقتضبة أن لها حق فى أن تشك فيما أقول ، كما أن لها حق فى أن تصرح عن هذا الشك علانية .. ولذلك أصبح من واجبى أن أثبت طوال الفصل الدراسى أننى كنت ملتزماً بخطابى . وفعلاً حضرت هذه الفتاة كل الاجتماعات ، وشاركت فيها كلها تقريباً ، وكشفت عن مواقفها السلطوية التى كانت أساس اعتراضها . ومع أنه لم تلتق أفكارنا ، إلا أننا تبادلنا الاحترام حتى النهاية. وفى حالة هذه المرأة ، فإن الأمر الذى أثار اهتمامها هو أننى سوف أخطئ فى حديثى فى أول يوم ، ولكن هذا لم يحدث ، ولن يزعجنى إذا ما وضعتنى طالبة ما فى موضع الاختبار. ولن يشعرنى ذلك بالتكبر لأننى أعلم إننى إنسان تنقصه أشياء كثيرة ؛ وما يقلقنى فعلاً هو اتهامى بعدم الأمانة ، فهو اتهام ليس له أساس ، بل إنه يفتقر إلى الأخلاقيات فى اتهامه .

وباختصار .. فإن العلاقة بين المعلمين والمتعلمين معقدة وأساسية وصعبة ، وهى علاقة تدور حول ما يجب أن نفكر فيه دائماً . ومع ذلك فإنه من السديد أن تكون عادة التقييم جزءاً من عملية التعليم، بأن نقيم أنفسنا معلمين ومتعلمين فى الوقت ذاته . ومن المستحسن أيضاً أن نخصص وقتاً محدداً للعمل مع المتعلمين كل يومين ؛ حيث نفرغ أنفسنا للتحليل النقدى للغتنا وممارستنا . وبهذا سوف نتعلم ونعلم أنفسنا أسلوباً لا غنى عنه فى عملية الدراسة ، ألا وهو تسجيل الحقائق والاتجاهات المرتبطة بها .

والتسجيل أمر يؤدى بنا إلى أن نلاحظ وأن نقارن وأن نختار ، وأن نقيم العلاقات بين الحقائق والأشياء . وعلى المعلمين والمتعلمين أن يلزموا أنفسهم بكتابة اللحظات والمواقف التى واجهتهم بأى نوع من التحدى ، سواء بشكل إيجابى أو سلبى من اجتماع لآخر .

وأكثر من هذا فإنى مقتنع أن مثل هذه التجربة الأولية يمكن أن تتم على مستوى يناسب مختلف أعمار الأطفال ، ومن بين هؤلاء أولئك الذين لم يتعلموا الكتابة .. فذلك سوف يشجعهم على الحديث عن حياتهم اليومية فى المدرسة ؛ مما يؤدى بهم إلى ممارسة التعلم عن طريق الحواس . وقد يتطلب هذا أن ينتهوا إلى عمليات الملاحظة واختيار الحقائق ، وهو ما يؤدى بالتالى إلى تطوير مهاراتهم اللفظية ، نظراً لما تتضمنه المرحلة التالية للكتابة من خبرات .. تلك العمليات التى لا ينبغى أن تنعزل عن إبداعية مهارات الكتابة .

والواقع أن الأطفال الذين يتحدثون عن الاتصالات الشخصية العادية هم الذين يكتبون ، فإذا لم يكتبوا فإن قدرتهم على الكتابة سوف تتعطل ، كما أنها تصبح مستحيلة فى بعض المواقف .

وعندما كنت مديراً للتعليم فى مدينة سان باولو مرت بى تجربة لن أنساها أبداً ، عندما أدرت حديثى فى مدرستين مع خمسين طالباً من الصف الخامس فى إحدى الأمسيات ، ثم مع أربعين فى اليوم التالى .

وكان موضوع الاجتماعات هو كيف يرى هؤلاء الصغار مدرسيهم ، وما نوع المدرسة التى يفضلون أن يتعلموا فيها، وكيف يرون أنفسهم ، وكيف يرون مدرسيهم. وبمجرد أن بدأنا العمل فى أول اجتماع سألنى أحد التلاميذ : ما رأيك يا بولو فى المدرس ، الذى يجعل التلميذ يقف فى مواجهة الحائط كما لو أنه قد ارتكب خطأ جسيماً ؟ وكانت إجابتى : أعتقد أن المعلم قد ارتكب خطأ . ثم سأل هذا التلميذ مرة أخرى : وماذا تفعل لو وجدت مدرساً يفعل هذا ؟ قلت : أتمنى ألا تتخيل أنت وزملاؤك أننى سوف أقوم بفعل الشىء نفسه مع المدرس ، لأن ذلك سيكون تصرفاً غير سليم ، ولن أفعله ، بل أننى سأدعو المدرس فى اليوم التالى إلى مكتبى مع مدير المدرسة والمنسق وشخص آخر مسئول عن التدريب الدائم للمدرسين . ثم أطلب من المدرس أن يثبت أن هذا السلوك الذى مارسه فى عقاب التلميذ كان صحيحاً من

وجهة النظر التربوية والعلمية والإنسانية والسياسية . وإذا لم يستطع أن يثبت ذلك – وهو احتمال كبير – فسوف أجرى تحقيقاً ، ولكننى قبل ذلك سوف أسمع رأى المسئول عن هذا المدرس ، مؤكداً أن هذا الخطأ لا يجب أن يتكرر أبداً . ثم عَقّب التلميذ : هذا عظيم ، ولكن إذا تكررت هذه العملية ، قلت : فى هذه الحالة سوف أطلب من المكتب القانونى فى مكتب الوزارة دراسة الأساليب القانونية لمعاقبة هذا المدرس ، وسأطبق القانون بشكل حاسم .. لقد فهم الجميع .

وأعتقد أن هؤلاء الصغار لا يريدون جواً تعليميًّا غير منظم ، بل إنهم رفضوا تماماً أى قرارات تعسفية .. إنهم يريدون علاقة ديمقراطية قائمة على الاحترام المتبادل ، لقد رفضوا الإذعان للطاعة العمياء التى تتطلبها وتتيحها القوة التى لا حدود لها للسلطة ، ورفضوا كذلك عدم المسئولية فى جو من التسيب والتهاون .

وربما يكون بعض هؤلاء الصغار منذ ذلك التاريخ قد شقوا طريقهم إلى الشوارع وقد دهنوا وجوههم وهم يصرخون .. إن الجدير بنا أن نحلم . وفى اليوم التالى دار حديثى مع المجموعة الأخرى ؛ حيث قالت إحدى السيدات : كنت أريد مدرسة لا تشبه مدرسة أمى يا (بولو) ، مدرسة تؤمن إيماناً أقوى بالصغار ، لأن بعضهم ليس له من هم إلا انتظار الفرصة لإثارة المشاكل مع الآخرين .

لقد مرت أربع ساعات كاملة مع ٩٠ مراهقًا ومراهقة ، عززوا اقتناعى بضرورة التمتع ببهجة الحياة ، وبالحق فى أن يحلم طلابنا .